

جامعة المنوفية
كلية الهندسة بهيبن الكوه

" المؤتمر الرابع لتنمية الريف المصري "

١٧/١٥ سبتمبر ٢٠٠٣م

ورقة بحثية بعنوان:

" عمران القرية عمران المدينة .. وثقافة التبادل "
"Village URBNAISM ... City URBNAISM
... And Culture of Exchange"

مقدمة من:

أ.م.د / محمد إبراهيم جبر إبراهيم *

ملخص الورقة البحثية :

يتخذ الإطار التشكيلي لعمران أي حاضرة صفات وخصائص تملئها معطيات واقعية البيئي ونتاج المرود الفعلي للمتغيرات الاجتماعية والثقافية الفكرية لقاطنيه.. ولكليهما - المعطيات والمتغيرات - تعزى خصوصية التشكل وملامح النتاج التعبيري لفرضيات الهوية والطابع.. فإذا ما أضيف إلى ذلك أوجه التباين الواردة بين الريف والحضر تؤكد لنا مضمون ما أُل إليه عمران القرية وعمران المدينة عبر عهود مضت من خصوصية تعبيرية تنبئ عن التقاء متوازن بين معطيات بيئية تفر بهوية المكان وفرضيات زمانه من جانب وتقاليده وعادات وأعراف راسخة تجسد الهوية الثقافية للإنسان قاطن ذات البيئة من جانب آخر.

على أن واقعا المعاصر كان قد شهد تغيرا جذريا لتلك المتواليات التي لم تخطئها شتى الحضارات.. أسبابه - التغير - تعددت.. بعضها شكلته سهولة الاتصال والتواصل الثقافي الريفي الحضري، وبعضها الآخر عززته غيبة الرؤية المسبقة والمستقبلية لمتطلبات الواقع ؛ وما ارتبط بها من خلل في نظم التشريع وقيود الممارسة .. والنتيجة تماثل حسدته بنى العمران في شتى الأرجاء .. هو أقرب إلى الاستنساخ بين عمران القرية وبعض من عمران المدينة .. الشكل والمضمون ، مع تغذية موازية وغير مبررة لقيم وأعراف سبق والتقت في صياغتها الرؤى الاجتماعية مكملة للبناء الفيزيقي .. ليحسد عمران القرية أقصى درجات التأثير بصورة العمران على أطراف المدينة ، والعكس .. بدأ ذلك واضحا في أساليب الصياغة ، خصائص التعبير ، كنه .. المعالجات والألوان ، وأبعد من ذلك .. الارتجال الذي ضاعت في أدراجه جوانب الخصوصية في كلا الكدرين .. صورة المدينة كنتاج لفعال تلتقي في طبيته ثوابت الماضي وفرضيات الحاضر ، وصورة القرية بكل ما تتضمنه من زخم بيئي نماني وتلقائي ثقافي عقائدي .

لذا تهدف الورقة البحثية من خلال منهج علمي استقرائي تحليلي إلى رصد لمجموعة المتغيرات التي أسهمت في الصياغة التعبيرية والوظيفية المتماثلة لعناصر العمران بعيد من الأرجاء الريفية والحضرية بالواقع المصري المعاصر ، مع تقرير لأبرز الخصائص المميزة لتلك الصياغة .

الخطايم الأساسية :

القرية . المدينة . الثقافة . الريف والحضر . التبادل الثقافي . عمران القرية . عمران المدينة.

أهداف الورقة البحثية :

في سياق التعرف على المعنى بكل من "القرية" و "المدينة" ، وتقرير الملامح المميزة لهما بالواقع المحلي ، وكذا أبرز صور "التبادل الثقافي" فيما بينها ؛ تهدف الورقة البحثية إلى التناول التحليلي لظاهرة التناظر "التمائل" التشكيلي الوظيفي لعمران المناطق الريفية وتلك الحضرية .. الأسباب والنتائج ؛ من خلال ما يلي :

- أ - رصد لأوجه التماثل الوظيفي والتعبيري بين عمران المناطق الريفية وتلك الحضرية .
- ب - رصد للمتغيرات التي أسهمت في تأكيد أوجه التماثل الراهنة بين عمران القرية وعمران المدينة .
- ت - رصد لدور المتغيرات الثقافية والفكرية في تأكيد جوانب التلاقي التشكيلي في عمران القرية والمدينة .

المنهج العلمي :

إزاء التمهيد السابق تعرض الورقة البحثية لموضوع الدراسة المقترح في سياق متهجي استقرائي تحليلي ، مدعم بنماذج تطبيقية ميدانية .

* أستاذ مساعد . قسم الهندسة المعمارية . كلية الهندسة . جامعة عين شمس . بريد إلكتروني : migaber @ Link .net
** ضمن فاعليات المحور الثالث المعنون : التخطيط العمراني والإنشائي للقرية المصرية .. النطاق العمراني والمنشآت الريفية .

Monofiaa University
Faculty of Engineering in Shibeen Al-koam
The Forth Conference for Developing the Egyptian Country
15th / 17th of September 2003

A research paper entitled:
**"Village URBNAISM ... City URBNAISM
... And Culture of Exchange"**

Presented by:
Dr: Mohammed Ibrahim Gabr

The research paper summary:

The formational frame of the physical structure of any city has properties and characteristics imposed by the environmental facts and by the outcome of the intellectual, cultural and social changes of its residents and for both of them (the facts and the changes) attribute formation specification and the properties of the expressive outcome of the identification and the characteristic impositions ..so, if we added the existed sides of differences between the country and the city to that , the content of the exclusiveness which both the country and the city construction had across ended ages will be assured . this exclusiveness which bodes about the balanced connection between environmental facts admit the place identification and time impositions on one side, and fixed traditions ,habits and customs characterize the cultural identification of the human being who reside in that environment on the other side.

Our contemporary society had witnessed radical change for those sequenced existed in all cultures and there are many reasons for that change ,some of which were formed by the ease of communication and the connection between the city and the country and the others were promoted by the absence of future vision and that in advance for the requirements of the society and the defect in legislation system and practice restrictions connected to it ,resulting in a similarity characterized in the construction structure everywhere which is nearer to a copy of the village construction and some of the city construction (the form and the content) with a parallel and unjustified absence of values and customs in which the social visions met before in its formula to supplement the physical structure .. so, The village construction characterized the maximum degrees of being influenced by the form of the construction on the borders of the city and the opposite . This is apparent in the methods of formula , the properties of expression , the essence of tackling and colors and more farer than that such as improvisation in which the exclusive sides in both cadres lost , the image of the city as the outcome of an interaction in which the fundamentals of the past and the impositions of the present meet ,and the image of the village with its vegetative, environmental, spontaneous and ideological momentum.

So, the research paper aims at observing the set of the changes which took part in the same expressive and functional formula of the construction elements in many rural and urban places in the contemporary Egyptian society with a report about the prominent characteristics of such formula.

The key words:

Village. City. The country and the city. The cultural exchange. Village construction. City construction.

Associate professor, faculty of Engineering, Ain Shames University
E – Mail: migabr@link.net

Through the third axis actions entitled: the constructive and structural planning for the Egyptian village
... the constructive extension and the rural facilities.

تمهيد .. في أصل المشكلة البحثية :

ارتبطت حياة الإنسان منذ بدء الخليقة بالترحال من مكان لآخر ، بحثا وراء الأفضل في المأكل والمشرب والمقام ، واستقاء لاحتياجاته النفسية والحسية ، .. وطبعي أن ينجم عن ذلك الترحال نوع من اللقيا والحوار مع أقرانه .. يؤثر ، ويتأثر ، يترك بصمته من بعده .. مقروءة في مردود سلوكه التفاعلي مع عناصر البناء الفيزيقي للمكان ، وفي أوجه التغير المحتملة في ثقافات الغير ؛ تأثرا بمنطقه الثقافي .. لتتبدى آنذاك ذاكرة المكان عبر تتابع الأزمنة ، تحكى عن خصائص الموروث ، بين تأكيدات لصفات الذات ، إلى ارتجال تخفت بواعث نشأته .. تشابه ربما .. تلاقي قد يكن .. أو استنساخ ينبي عن ضعف المتلقي عن إدارة الحوار .. وانعطافه في اتجاه تبعي ، يتمثل إزاءه صورة الآخر كما وكيفا ، وتلك الأخيرة - تحديدا - هي الصورة الراهنة لعمران القرية و عمران المدينة بالواقع المحلي ؛ كنتاج لتغيبه خصوصية الثقافة ، وإخفاق القيم في تعزيز ثقل المكان .. فنتلاشى ملامح الهوية ، وتتخذ الصورة وضعا مألوفًا ، أقرب إلى التفاوت منه إلى التماثل ، وإلى التباين منه إلى التناغم .. بل وتتوحد الصورة في أبعادها المختلفة .. صورة البيئة الريفية وتلك الممثلة للبيئة الحضرية ، دونما تميز ؛ تستهدفه خصوصية الفرد الهدف ، واحتياجه للانتماء .. الانتماء للمكان بذاته ، بعيدا عن كنهه .. ريف أو حضر .

وكانت عديد من المتغيرات السياسية والاقتصادية بالواقع المصري المعاصر قد أسهمت في تغيير خصائص البناء الاجتماعي والثقافي لمجتمعي المدينة والقرية دالتا هوية عمرانه ، استتبعهما تغير مواز في أساليب التعامل مع مفردات وعناصر ذلك العمران ، بيد أن زيادة التواصل الثقافي بين البيئتين والناجم عن زيادة الهجرات الريفية الحضرية ، وكذا الحركة الترددية بين مختلف الأرجاء الحضرية ، وما ترتب عليهما من خطة فكرية ، كان قد عزز من صور التبادل الفعلي حيال تلك الأساليب .. ويؤكد كون الاستقراء التحليلي لعمران المدن والقرى بمختلف أقاليم مصر التخطيطية ينبي عن عديد من صور التماثل والتقابل ، سواء في خصائص الصياغة الوظيفية والتعبيرية لعناصر البناء ، أو في سياسات التعامل مع المفردات التكميلية للنطاق الفراغي لتشكله .. الأمر الذي يصعب إزاءه تقرير مواطن الخصوصية المعمارية - بكل البيئتين - كدالة لتقرير الطابع وتحديد ملامح الهوية .. ويدفع بضرورة البحث في جذور مشكلة المزج العمراني الريفي الحضري .. هل هو نتاج لفكر مسبق الطابع .. أم أن رحي التحضر قد أجهزت على بواعث الخصوصية بمختلف الأرجاء .

٢- القرية . المدينة . الثقافة .. المعنى والدلائل :

١-٢ القرية .. Village :

"القرية" لغويا من "قري" الضيف .. أي إضافته وإكرامه ، حيث "القرى" : ما يقدم إلى الضيف ، و "القرية" : كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارا .. أما القرية " كمصطلح عمراني " : فتجمع مقام على أرض زراعية ، لإيواء من يقومون على فلاحة تلك الأراضي ، واستغلالها ، وكذا القائمين على الخدمات الإدارية بها ، إضافة لاحتوائه على مباني خاصة بالحيوانات ، ومخازن وورش خاصة بالألات الزراعية .. وتتخذ "القرية" إزاء اختلاف بنيانها التركيبي صور عدة ، منها : القرية " التحصينية " Fort-Like Pattern Type .. وتتميز بشارع دائري Ring Road حول مركزها الخدمي يسمى "بداير الناحية" يتضمن كافة الخدمات العامة والتجارية ويحوى منازل أثريائها ، وعادة ما يتخذ ذلك النموذج الشكل النجمي Star Shape .. ومنها أيضا القرية "الموازية للقناة أو الطريق" Canal or Road Type ، ويميزها إشراف مبانيها على القنوات المائية ، أو شبكات الطرق ، لتشكّل العصب الأساسي لها ، وتتخذ لقاء ذلك الشكل الخطى Line Shape ، وقد يشكل مجتمعها العمراني جزئين على ضفتي الطريق أو القناة .. أحدهما "الجزء الأكبر" يمثل حيز القرية ، والثاني "الأصغر" يسمى الكفر .

وقد تعددت أسماء القرية المصرية؛ إزاء اختلاف الدلالات اللفظية المتعلقة بالاسم .. فنجد "الكفر" : ويعنى ما بعد من الأرض عن القرية؛ ويمثل جزءا تابعا لها، و "المنية" : وتعنى الموقع المتطرف، و"أولاد" وتستتبع باسم علم مثل قرية أولاد صفر، و "لبساتين" : وتقترب عادة بأسماء كبار الملاك، و "نزلة" : إشارة إلى ما ينزل فيه الناس، و "تل" : تعبيراً عن الارتفاع النسبي لموقعها، و "شبرا" أسم مصري قديم يعنى المزرعة، و "ميت" كلمة قبطية تعنى الطريق، و "كوم" إشارة إلى اتخاذ القرية لموقعا صناعيا لحماية من آثار الفيضانات، و"بني" : وتقترب باسم أحد القبائل البدوية أو العائلات القديمة، و "الناحية" : وتعنى أحد أرجاء أو توابع قرية أم، و "النجع" : وتمثله مجموعة متناثرة من المباني تتخذ موقعها أعلى هضاب طبيعية على ضفتي النهر.

وقد اكتسبت القرية المصرية خصوصيتها من ارتباطها بالمكان ومعطياته الطبيعية والثقافية والاجتماعية ، وخلال عهود مضت اتخذ البناء الفيزيقي لها أنماطا تعبيرية ارتبطت بما وفرته البيئة من خامات وعناصر طبيعية جسدت هويتها التشكيلية ، مثلما اتخذ ذات البناء - الفيزيقي - أنماطا وظيفية سجلت الخصائص الاجتماعية والثقافية لقاطنيها ، ومثلها "المسكن المركب" .. تلتقي فيه العائلة على تعاقب أجيالها ؛ كإحدى لبنات البناء التركيبي لمجتمع القرية - بما يتضمنه من أعراف وقيم وتقاليد جسدتها القيم التشكيلية ووسائل التعبير التي طالما ميزت القرية على اختلاف منشأها - ذلك الذي يتأكد تماسكه في تلاحم البناء الفيزيقي لمجمل عناصر العمران بها .. تلتف حول القلب وعاء الذكريات ونطاق التلاقي الحوارى

بين مجمل شرائحها .. تلك هي الصورة التي سبق وجسدها بصمة التعبير البسيطة التلقائية والمعبرة عن نقاء المزيج وتوحده.. بيد أن هذه كانت مجرد صورة في ذاكرة الماضي..

٢-٢ المدينة City .

"المدينة" المصير الجامع.. جمع "مدائن"، و "مدن" .. ومدن المدائن: بناها، ومنها "تمدن": عاش عيشة أهل المدن، وأخذ بأسباب الحضارة، باعتبار "المدينة": الحضارة واتساع العمران.

والمدينة تجمع عمراني تتعدد أحجامه بين الصغر والكبر ، يتراوح عدد سكانها بين ٥٠٠٠-٢٠٠٠٠ نسمة للمدينة الصغيرة ، ومن ٢٠٠٠٠-١٠٠٠٠٠ للمتوسطة ، ومن ١٠٠٠٠٠-١٠٠٠٠٠٠ أقل من مليون للمدينة الكبيرة ، على أن زيادة وظائف المدينة يكسبها طابع خاص ، ويدفع بها بداية ما يعرف بالمترو بوليس Metropolis ، ثم المدينة الضخمة Megalopolis .. على أن منشأها عادة ما يعتمد على نشاط أو أكثر من أنشطة الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو السياحة.. إلى غير ذلك، وتعد المدينة همزة الوصل بين القرية والسلطة المركزية، ومركزا للخدمات الثقافية والترفيهية والإدارية والحضارية للإقليم، بيد أن النسيج التشكيلي لعمرانها - وإزاء التنوع الثقافي المتاح لقاطنيها وكذا مقومات التواصل الخارجي المكفولة - له أن يتخذ صورا تعبيرية وظيفية بالغة التنوع؛ تتضمن بصمة التجديد المتتابع؛ تلتقي في سياقها حوارات دائمة بين معطيات الماضي وفرصيات الحاضر.. بيد أن النجاح يستلزم الحفاظ على قدر من القيمة إزاء قضايا التجديد، وعلاقتها بصيرورة الماضي.. وليس ذلك بغريب فالمدينة دعوة للتمدن.

٣-٢ الثقافة .. والاتصال الثقافي Culture Contact .

العمارة دالة لثقافة الزمان ونتاج لمعطيات البيئة المكانية.. والتناول التحليلي لإشكالية التقابل بين عمارة القرية وعمارة المدينة - كانعكاس لمردود التلاقي الثقافي الريفي الحضري بين قاطني البيئتين - يتطلب التعرف على عديد من المفاهيم ذات الصلة "بالثقافة" كمعنى، وكدالة للسلوك، والنتاج الإنساني.. ضمن تلك المفاهيم تبرز أهمية:

" التقاطع ثقافي. الاتصال ثقافي. التفاعل الثقافي. الصراخ الثقافي. الامتصاص الثقافي "



شكل رقم (١) العمارة دالة لثقافة الزمان ونتاج لمعطيات البيئة المكانية

بداية فأن مفهوم " تقاطع ثقافي Cross Cultural " كان قد بدأ كأحد المفاهيم الأساسية في فلسفة التاريخ عند "فيكو" الإيطالي؛ إزاء استخدامه إياه بهدف نقاط الالتقاء بين ثقافتين "أو أكثر"، حيث تتفاعل الثقافات، بالتناقض، أو بالاتفاق لينتهي الأمر إلى احتمالين أساسيين:

- ذوبان إحدى الثقافتين في الأخرى، غير أن ذلك لا ينفى إمكانية تغير أكثرهما ثقلا إزاء استيعابها لمفاهيم الثقافة الأخرى كنتاج لما يعرف بالاتصال أو الامتصاص أو الانتشار الثقافي.
- تغيرهما معا ونشؤ ثقافة جديدة تستمد جذورها من كلا الثقافتين " أو أكثر " وتدفع بها معطيات الواقع تجاه ما يستجد عليها من تطورات.

بيد أن التقاطع الثقافي كان قد انتقل من فلسفة التاريخ إلى علم تاريخ الثقافة؛ حيث تطور المفهوم وتطبيقاته إلى منهج لدراسة تفرعات التقاطع الثقافي وجزيئاته، في اللغة والتصورات الكلية المميزة لكل ثقافة.. فيما يختص بالدين، واللغة والأسرة، والمؤسسات الاجتماعية، والتقاليد، والأنماط المميزة للمثل العليا الثقافية، أو أنماط وتقاليد العمل والإبداع الفني والتكنولوجي، وكذا السلوك اليومي.

ونظرية "الاتصال الثقافي" القديمة كان قد صاغها البريطاني "فورتيس" في نهاية الثلث الأول من القرن الماضي تقوم على القول بأن الثقافات القوية تنتشر، وتمثلها الثقافات الأخرى الأضعف؛ بسبب عديد من صور التفوق والنفوذ.. بمعنى أن الثقافة الأقوى تبدو "كوعاء" تنصهر فيه الثقافات الأقل تأثيرا.. بيد أن " نظرية التثاقف " ترى أن تداخل عديد من الثقافات يستتبعه نشأة ثقافة جديدة.

وكان "دي فوس" قد وصف في كتابه "الاستجابة للغير.. المجتمع والثقافة والشخصية ١٩٧٦م" ما اسماء بعملية "التفاعل الثقافي" وتعرض لتبنى كل من المجتمع المستقبل والمهاجرين ثقافة الآخر بالمدلول الشامل للثقافة.. وتجسده اللغة، والدين، وطرائق الحياة، والسلوك، والقيم الخلقية، والعمل.. إلى غير ذلك، من خلال بدء منهما في تعلم ما يتقبله وما يحتاج إليه من ثقافة الآخر.

ومصطلح "التفاعل الثقافي" في الفكر الأمريكي يعنى Acculturation، وترجمه علماء الثقافة العرب: "تثاقف" أو "مثقفة".. ويعنى نوع من التبادل بين الثقافات؛ إزاء التداخل، أو الامتزاج بين مجتمعين، أو جماعتين، أو أكثر ينتميان لثقافات مختلفة.. تمتلك كل منها تراثاً ثقافياً متميزاً، وقد نجح العالمان الإنجليزي "ماليونوفسكي" والأمريكي "لينتون" في توظيف نظرية "الثقافة" أو "التبادل أو الاتصال الثقافي" في تحليل التغيرات الاجتماعية والثقافية الفكرية فيما بعد الحرب العالمية الثانية، غير أنه من الثابت أن نظرية "التفاعل الثقافي" لم تتطور إلا بظهور أعمال "ماليونوفسكي" و "فروتس" في بريطانيا؛ خلال أربعينيات القرن الماضي، و "ريدفيلد" و "لينتون" في أمريكا، خلال خمسينيات نفس القرن، والتي أدت إلى النظر إلى الثقافة كوظيفة، أو نظام، أو نسق؛ محكوم، وليست مجرد تجمع لخصائص، وأنشطة منفصلة.

بيد أن عملية "التفاعل الثقافي" ومن وجهة نظر اجتماعية تتضمن انتشار القيم الأكثر صلاحية لمواجهة الحياة، وتلبية احتياجاتها في مرحلة تطور، أو وضع تاريخي بعينه؛ من وجهة نظر الجماعة الناقلة للقيم، والأساليب الفنية للعمل، والإدارة، ونظم المؤسسات، بما تتطلبه عملية النقل من تعديلات في بنيتها، وسلوكياتها، وقوانينها؛ طبقاً لتغير الظروف المحيطة.. وقد تؤدي عملية التفاعل إلى "صراع ثقافي" بين قيم وأساليب عتيقة، وأصلية، وبين أخرى مكتسبة؛ جديدة، تتطلب تقرير اجتماعي ومنهجي لجدواها، أيضاً تؤدي عملية التفاعل إلى تعميق الاقتباس، والنقل كأساس لتأصيل الخصائص الثقافية.

وأما ظاهرة "الامتصاص الثقافي" Assimilation.. فعند التقليديين تعنى عملية ذوبان ثقافة العناصر المهاجرة إلى مجتمع مستقر في البناء الثقافي لهذا المجتمع تدريجياً.. وتلك كانت نظرة الأمريكيين "تحديداً" وميله الفكري في تفسيرهم لخصائص المجتمع الأمريكي "الحلم" المستهدف؛ حال نجاحه في تخطي مشاكل المهجرين إليه؛ المرتبطة بوحدة المجتمع ككل.. على أن البحث التجريبي المعاصر على مجتمعات حديثة، أو تاريخية كان قد أثبت صحة ما سجله العرب الأوائل في تأريخهم للمردود الثقافي للفتوحات الإسلامية؛ من كون عملية الامتزاج التلاقي بين ثقافتين، مثلما حدث في عطاء العرب اللغة والدين الجديد - أو أحدهما - للأقطار التي افتتحوها، وأخذوهم لأنماط الحياة، والعمل، والمعيشة، وأساليب التفكير.. وقد أكدت دراسات علم الاجتماع المعاصر ذلك أيضاً، إزاء التحليل "العضوي والبنوي" لتلك المجتمعات.. وما آلت إليه؛ وتبت أن كلا المجتمعين المستقبل والمهاجر يتغيران على مراحل تدريجية.. ورأت "شيليا باترسون" - وكما عرضت لذلك في كتاب "الغرباء السمر ١٩٦٤" - أن مرحلة "التكيف المزدوج" تسبق "الامتصاص"، حيث يتقبل المجتمع المستقبل والمهجرون إليه في البداية "المميزات والمزايا" الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والنفسية، واللغوية لكل منهما قبل - وإثناء - شروع كل منهما في استيعابها، ثم تبادلها.

وطبعي أن قضية الثقافة الريفية الحضرية كدالة لتلاقي عمران القرية والمدينة تتضمن عديد من أوجه التغييرية لصور التقاطع بين ثقافتين البيئتين مقابل تنامي لأوجه الاتصال والتفاعل، وجانب من الصراع يستتبعه امتصاص لجانب ليس بالقليل من ثقافة الآخر؛ يتفق بدوره وخصائص بنى ثقافة المواطن قياساً إلى تلك الوافدة عليها.. غير أن النتائج التراكمي لعمارة البيئتين ينبي عن دلائل سلبية لمردود تلك المفاهيم التطبيقي على الواقع مقابل تلك الإيجابية المنتظرة لقاء امتصاص ثقافة ما لأوجه الإيجابيات التي تملئها أخرى.

٣. عمران القرية وعمران المدينة.. صورة الواقع:

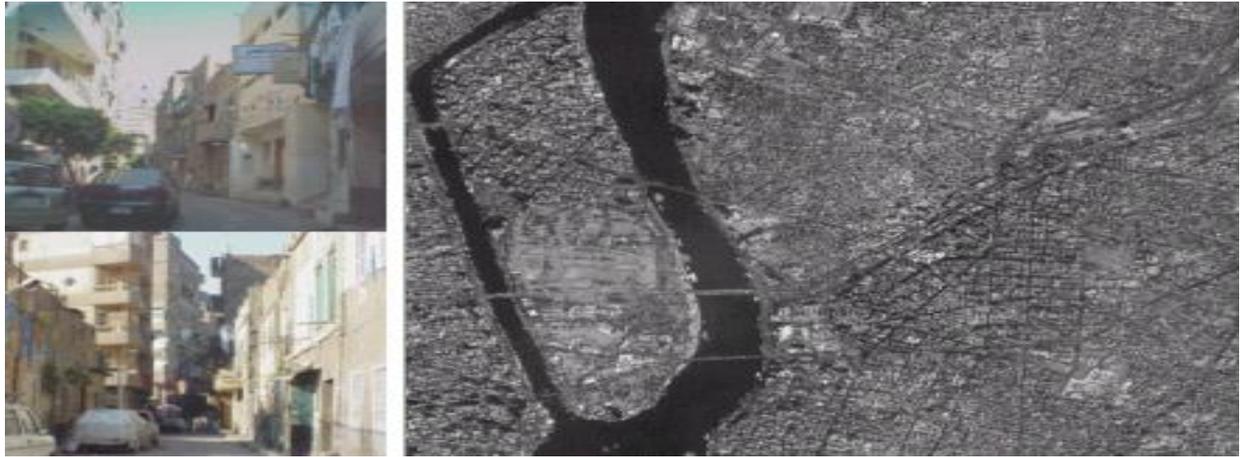
كانت عديد من التغيرات السياسية والاقتصادية بالواقع المصري - خلال العقود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي - قد أسهمت في تغيير خصائص البناء الاجتماعي، والثقافي، لمجمعي المدينة والقرية.. ويؤكد ذلك أن الاستقراء التحليلي لعمران المدن، والقرى، ينبي عن عديد من صور الاستنساخ، والتقابل بين عناصر البناء التعبيري، والصياغة الوظيفية لكلا البيئتين، الأمر الذي يصعب إزاءه تقرير مواطن الخصوصية المعمارية لكل منهما، كدالة لتقرير هوية المكان بموارثه التراثية، وطابع البيئة وعطائها الراهن.

فأما " المدينة " .. فعدد من الأجزاء الحضرية بالمدن خاصة ذات الأصول الريفية أو تلك المتاخمة لمناطق لها قد اتخذت صوراً وظيفية وتعبيرية تشكيلية تقليدية ذي خصائص تملئها تقسيمات الأحواض الزراعية مماثلة لتلك المميزة لعمران المناطق الريفية.. لقاء ما تتعرض له هذه الأجزاء من ترددات انتقالية وهجرات ريفية حضرية تسهم في تغيير الخصائص الثقافية والاجتماعية لقاطنيها ومن ثم المردود السلوكي والفعلية لنتائج ممارستهم، وارتبط بذلك الإيقاع المتسارع لتلك الترددات كأحد أسباب تغييرية معيار الانتماء إزاء الغربة وعدم التواصل والاستمرارية ذلك من جانب، ومن آخر فإن بصمة التشكل الناجمة عن تلك الترددات تفتقر إلى مقومات النضج ممثلة في تكامل وتواصل البناء التراكمي للبيئة العمرانية.



شكل رقم (٣) أسهمت الهجرات الريفية الحضرية في تغيير الخصائص الثقافية "ومن ثم العمرانية" لمجتمع المدينة

وأما " القرية " .. فقد كان البناء التشكيلي لعمران القرية خلال الفترة المنوطة بالدراسة قد ارتبط بعدد من صور الهجرة الريفية الحضرية وتلك الخارجية من جانب، واختلاف خصائص البناء المهني نتيجة ارتفاع معدلات التعليم؛ وما استتبعه من انصراف نسبي عن العمل بالزراعة إلى غيرها من الأنشطة الأخرى من جانب آخر، وطبعي أن يترتب على ذلك نوع من الخلطة الثقافية الريفية - بين قاطني المناطق الريفية والمترددين منهم على المناطق الحضرية - استتبعها تغيير مصاحب في الخصائص الفكرية والثقافية .. ولقاء التأثير بثقافة الحضر من جانب، وكننتاج للوفرة المادية الناجمة عما أصير إليه من هجرات خارجية من جانب آخر؛ حدث تراجع نسبي في تعزيز قيمة النشاط الزراعي كأساس للاقتصاد، مقابل توجهات مستحدثة تجاه صيغ مهنية واهية، صاحبها صور شبة حضرية للمعيشة، انعكست تلقائيا على أساليب التعامل مع البناء الفيزيقي "العمراني" للقرية، دافعة إياها تجاه نوع من التماثل، أو المحاكاة لتلك المميزة للمدينة، مع الفارق .. فظهرت الخرسانة المسلحة بديلا لإنشائها للحوائط الحاملة، والطوب الأحمر بمختلف أنواعه بديلا للطوب اللبن، والبنائيات السكنية متعددة الطوابق بديلا للمسكن المركب .. وهكذا .. استحدثت خصائص وصيغ بنائية وتعبيرية جامدة، مخالفة لتلك التي لطالما ميزت القرية المصرية، وجسدت هوية واقعا البيئي وثقافة قاطنيه.



شكل رقم (٤) من الصعوبة أدراك صفة المكان.. وموقعه من نسيج تشابهت سماته في الريف والحضر.

٤- في دلائل " التبادل الثقافي " عمران القرية وعمران المدينة:

نعني بدلائل التبادل الثقافي - تلك - الإشارات الدالة على التلاقي، والتماثل؛ بين عمارة القرية، وعمارة المدينة بالواقع المصري المعاصر، والتي ترتبت على الهجرات الريفية الحضرية، وما استتبعها من حركة ترددية للأفراد والجماعات البشرية عبر مختلف الأرجاء الحضرية؛ صاحبها - بلا شك - نوع من المزج الثقافي، والفكري، وتغيير مصاحب في خصائص البني الاجتماعية، وما تضمنته من قيم وأعراف وعادات وتقاليد.

ودلائل التباين الثقافي المستهدفة يمكن استقراءها حال التناول التحليلي لعدد من المؤشرات .. أبرزها وضوحا يرتبط بالمعايير التالية:

١. خصائص النسيج التشكيلي.
٢. صورة ومفردات التعبير المعماري.
٣. أنماط وأشكال الوظائف الدارجة.

٤-١ في خصائص النسيج التشكيلي.. أوجه التماثل في خصائص النسيج لعمران القرية وعمران المدينة تتأكد في المناطق - ذات الأصول الزراعية - المتاخمة للمدن وعلى أطرافها تحديا، حيث ارتبطت الصياغة التشكيلية لعناصر النسيج العمراني بما تمليه خصائص الأحواض الزراعية مسبقا، وتأثيراتها تبدو واضحة في:

- البناء على الصامت، دون مراعاة لأسس الصياغة الفراغية التي تتطلبها المقومات الحضارية لبناء الفراغ المعماري.
- خلل في الخصائص التشكيلية للفراغات الحضرية على تتابعها.
- قصور في أوجه الملائمة التشكيلية والوظيفية للمقومات البيئية والمناخية.
- قصور وتقليدية في بنى وخصائص النسيج البصري والتشكيلي للمجموعات المعمارية.

- ٤-٢ في صور ومفرداته التعبير المعماري..** أوجه التماثل في أساليب وصيغ التعبير بين عمارة القرية، و عمارة المدينة، و تجسدها عديد من الصور التي يتضمنها النسيج التشكيلي، ومفرداته التعبيرية.. وتلك يمكن استقراءها في تماثل كل من:
- الخصائص التشكيلية ومفردات التعبير بكلا البيئتين.
 - أساليب وخيارات الألوان.
 - مفردات وصور التعبير عن القيم التراثية.
 - الدلائل التشكيلية والصيغ التقليدية لعلاقات الوظائف.



شكل رقم (٥) شهدت القرية المصرية استحداث لخصائص وصيغ بنائية وتعبيرية جامدة مخالفة لتلك التي لطالما ميزت بيئتها العمرانية

- ٤-٣ أنماط وأشكال الوظائف الخارجية..** و أما أوجه التماثل بين عمارة الريف و عمارة الحضر؛ والمتعلقة بخصائص وأشكال الوظائف الدارجة بكنتا البيئتين فتؤكدتها المؤشرات التالية:
- التغيب الواضحة لصورة المسكن المركب بالريف المصري، مقابل ظهور واضح لأنماط الإسكان متعددة الطوابق " نموذج العمارة السكنية بالمدينة ".
 - تأثر عديد من المناطق الريفية بالصيغ الوظيفية التي يتضمنها مجتمع المدينة والمرتبطة بالأنشطة التجارية والترفيهية.
 - ظهور المسكن " العائلي " متعدد الطوابق بكلا البيئتين؛ فهو بديل للمسكن " المركب " بالريف، وصيغة مستحدثة بالمدينة نقلا عن ثقافة الريف.

٥- في أسباب.. بواجب " التبادل الثقافي " لعمارة القرية و المدينة:

- يأتي " التبادل الثقافي " بين مجتمعي القرية و المدينة وما استتبعه من تماثل في البناء التعبيري والوظيفي لعمارة البيئتين كنتاج لعديد من الأسباب.. أبرزها وضوحا:
- الهجرة الريفية الحضرية، وما يستتبعها من تغيرات ثقافية، واجتماعية؛ تسهم في صياغة ما يعرف " بـ " المتصل الريفي الحضري ".
 - العوامل الأيكولوجية المرتبطة بظاهرة التحضر، ممثلة في الترددات الحركية للسكان عبر مختلف الأجزاء الحضرية، وما يستتبعها من تغيرات " دينامية " لعناصر، ومفردات النسيج العمراني بتلك الأجزاء.

٥-١ الهجرة والتواصل الريفي الحضري :

- التعرف على مردود للهجرة الريفية الحضرية - كأبرز أسباب المزج الثقافي بين مجتمعي القرية و المدينة - وما يترتب عليها من تواصل فكري ثقافي؛ تلاشت ازائه ملامح الخصوصية، يتطلب تناول التحليلي للمؤشرات التالية:
- أسباب الهجرة الحضرية.
 - خصائص وأشكال الهجرة.
 - المتصل الريفي الحضري.

٥-١-١ أسباب الهجرة الريفية الحضرية:

أرتبطت ظاهرة الهجرة الريفية الحضرية بعدد من الأسباب، بعضها تعلق بأوجه القصور الخدمي بمناطق الهجرة مقابل تلك المستقبلية، إزاء الاهتمام النسبي بالأخيرة - دون الأولى - من قبل الأجهزة المعنية، وبعضها الآخر تعلق بالبريق والتميز النسبي لمناطق الحضر؛ في معرض المقارنة بالمناطق الريفية، في سياق ما تتضمنه الأولى من تنوع خدمي كمي وكيفي.. غير أن أبرز أسباب الهجرة تتمثل فيما يلي:

- شعور سكان المناطق الريفية بالحرمان النسبي حال المقارنة بالمناطق الحضرية؛ ذات المستوى المعيشي الأعلى، والإقامة المتميزة، وفرص التعليم الأفضل، إلى جانب قدر غير قليل من الحرية قياساً على صور القهر التي - قد - تتضمنها أنظمة القيم والأعراف الريفية.
- رغبة التعلم - الجامعي تحديداً - وما يستتبعهما من طموحات تتعلق بالحراك الاجتماعي والثقافي.
- تغير دوافع وطموحات شباب المناطق الريفية ورؤيتهم لحياتهم السابقة لفترة الخدمة العسكرية.
- تضائل فرص الحصول على أرض زراعية لقاء تفتت الملكية بفعل المواريث للأجيال المتعاقبة من جانب، ولما تتضمنه بعض السلوكيات الاجتماعية من تعزيز لحق البكورة، واستئثار الابن الأكبر بمجمل الميراث دون إخوته من جانب آخر.
- الطبيعة الموسمية للزراعة، وما تتضمنه من فترات فراغ؛ تعد دافع تلقائي للسفر إلى المدن بحثاً عن مزيد من فرص العمل.
- تضائل الفرص الوظيفية التي توفرها الأجهزة والمؤسسات الحكومية بالمناطق الريفية مع وجود وفرة متعلمة من أبناء القرى.
- تلاقى "قوى الجذب" التي تمثلها المدن والتجمعات الحضرية لأهل الريف مع ما يقابلها من "قوى طرد" جسدها النقاط السابقة، في سياق تخيلي تدعمه معلومات يتناولها أهل الريف عن نظائرهم من أهل الحضر - بعيداً عن صدق تلك المعلومات من عدمه - حيث الطرق المرصوفة.. سهولة وسائل الاتصال.. تميز أنظمة المعيشة.. البريق النسبي لممثلي الحكومة الذين يتحركون وسط الريفيين.. إلى غير ذلك من مفاهيم وأفكار، تدعيم الحس التخيلي لدى أبناء الريف إزاء تلك الحياة الحضرية المبهمة لهم.

وللمتغيرات الإدارية والسياسية وما يرتبط بها ويترتب عليها من دورها - أيضاً - في تدعيم قوى الجذب لقاء الحضر وقوى الطرد من الريف، باعتبار أن:

- الأخذ بأساليب الزراعة الجماعية - دون احتواء الفائض في العمالة اليدوية - يعزز دوافع الهجرة لدى العديد من قاطني المناطق الريفية.
- رصد الاعتمادات المالية لتنمية بعض المناطق الصناعية على حساب ما يجاورها من مناطق ريفية، يعزز من فرص اجتذاب تلك المناطق لسكان المناطق الريفية المتضررة.
- الاضطرابات السياسية - من حروب أهلية وثورات أو طغيان لبعض الأنظمة الحاكمة أو الأجنبية - يصحبها تيارات هجرة للمناطق الآمنة.

٥-٢ خصائص الهجرة الريفية الحضرية:

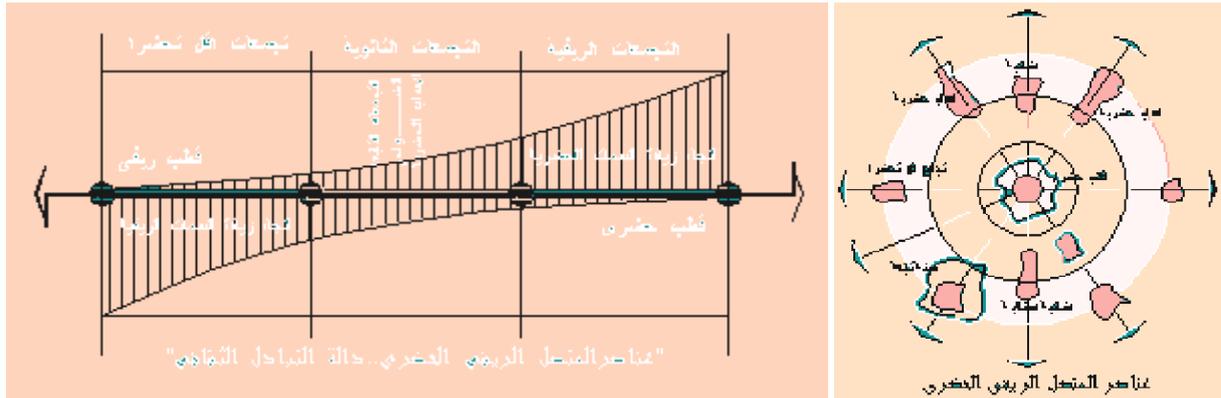
تتعدد صور وأشكال الهجرة الريفية الحضرية إزاء اختلاف أهداف الفئات المهاجرة من جانب، وتغير الظروف المصاحبة للهجرة ومردودها من جانب آخر، على أن أبرز ما يميز تلك الصور يتضح في سياق التعرف على الأنماط الشائعة للهجرة.. وتتمثل في:

- هجرة **تدرجية**.. من المناطق الريفية إلى مراكز القرى ثم مدن ومحافظات الأقاليم ومن بعدها المن الكبرى.. وهكذا، وهي تجسد الاتجاه المتنامي - التلقائي - لظاهرة التحضر، وغالباً ما ترتبط بظروف التعليم وما يتعلق بها من دوافع لحراك اجتماعي.
- هجرة **موسمية**.. من المناطق الريفية إلى مختلف المناطق الحضرية، والعكس، تتخلل فترات ما بين الزراعات الموسمية، وغالباً ما ترتبط بتوجهات وميول تجارية.
- هجرة **ارتدادية**.. وتمثلها اتجاهات العودة للمناطق الريفية من تلك الحضرية مرة أخرى، وتقلل من كثافتها طموحات الحراك الاجتماعي - هروبا من الوصم بالفشل من الأقارب والمحيطين - لذا فإنها ترتبط بكبار السن دون الشباب.
- هجرة **مؤقتة**.. أو متعددة تحتمل التنقل عبر مختلف المناطق الريفية والحضرية على السواء، ومن أكثر من مكان لغيره، بما تمليه وتقتضيه متطلبات التطور والحراك الاجتماعي والمتغيرات الثقافية، غير أنه لا يشترط فيها أن تأخذ نفس نمط الهجرة التدريجية.

- **مجرة طوافية..** وترتبط بالتردد على مناطق ريفية أو حضرية متعددة، بحثاً عن فرص وظيفية غير اختيارية، وقد يصاحبها نوع من عدم الاستقرار النفسي، والقلق، وأحياناً اليأس.

٣-١-٥ المتصل الريفي الحضري:

أجمعت دراسات علم الاجتماع على أن التواصل المكاني الناجم عن نزوح الهجرة الريفية الحضرية قد دفع باستحالة التفرقة الواقعية بين الريف والحضر؛ بمعنى أن كلا المجتمعين الريفي والحضري ليسا بمنفصلين - تماماً - عن بعضهما البعض، خاصة في ظل التقدم الذي أحرزته وسائل الاتصال والتنقل في عالمنا المعاصر، بالتالي فإن النظرة التقليدية لكل من الريف والحضر، وتباعدهما قد تغيرت، واستبدلت بما يعرف بنظرية " **المتصل الريفي الحضري** " .



شكل رقم (٦) عناصر المتصل الريفي الحضري

ويتعلق المتصل الريفي الحضري - وكما يتضح بالشكل السابق - في فروضه التحليلية بقطبين، يمثلان الريف والحضر، بينهما نوعاً من التتابع - بطول المتصل - يمثل نسباً مختلفة لامتزاج الحياة الريفية بتلك الحضرية.. بالتالي فإن الفروق بين المجتمعات لا تقتصر على نوعها - وكونها تركز على الصناعة أو التجارة أو الصيد أو الزراعة أو.. - بل تمتد تلك الفروق إلى التمييز بين درجة التحضر والترتيب لتلك المجتمعات، قياساً على الخصائص المكانية لمقومات تواجدها، وعلاقتها بما حولها من تجمعات من جانب، والثقل التأثيرى لنفوذها الحضري من جانب آخر.

عناصر المتصل الريفي الحضري:

تتشكل عناصر المتصل الريفي الحضري وكما يتضح بالشكل السابق وفقاً لتأثير كلا القطبين - الريف والحضر - حيث تزداد السمات الريفية في اتجاه الريف، لتبدو لنا المجتمعات الأقل تحضراً، وكذلك تزداد السمات الحضرية في اتجاه الحضر لتتشكل التجمعات الحضرية الثانوية على اختلاف درجاتها.

أولاً: التجمعات الأقل تحضراً:

وتنقسم إلى نوعين أساسيين:

أ - تجمعات أقل تحضراً.. تتشكل نتيجة دخول - وبالتالي مزج - بعض الأنشطة الحضرية من الرتب " الأقل " إلى البيئة الريفية.. ويتصف ذلك النمط - وكما يتضح بالشكل - بالتضاد والاختلاف بين هياكل، وسمات، وملامح كلا النشاطين " الريفي والحضري " الذي يتضمنهما، وينتج عن هذا التضاد ردود أفعال متباينة، تؤكد عدم التجانس بين الخصائص الريفية والحضرية للتجمع.

ب - تجمعات أقل تحضراً.. تتشكل نتيجة السماح بتطور محدود للنظام الريفي في اتجاه الحياة الحضرية " تحضر محدود للريف " .. وبرز ما يميز ذلك النمط سلاسة التطور، وانسجام الأنشطة الحضرية مع النشاط الريفي، وبازدياد فرص الاتصالات، ونقل التكنولوجيا، ووسائل المواصلات الحديثة، والتسهيلات الحضرية يصبح من السهل ظهور تطورات حضرية في المجتمع الريفي، ولا تحدث هذه التطورات بصورة فجائية؛ بل تستغرق بعض الوقت .

ثانياً: التجمعات الحضرية الثانوية:

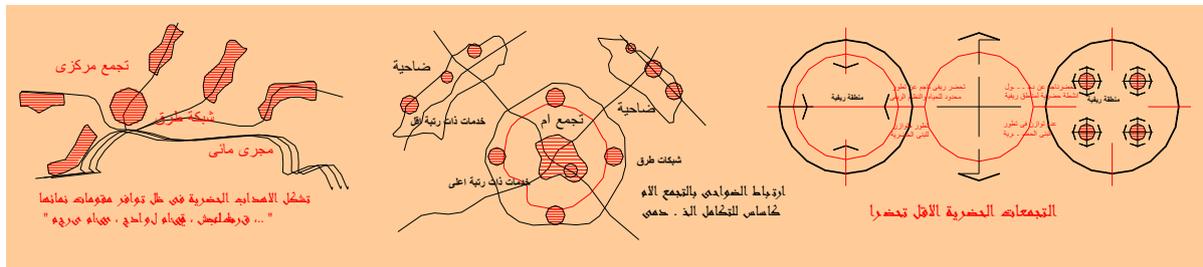
وتنقسم هذه التجمعات إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:

التجمعات التابعة - الضواحي - الأهداب الحضرية

التجمع التابع.. وهو تجمع ذي درجة معينة من الاكتفاء الذاتي في أنشطته وخدماته الأساسية، إلا أنه يعتمد على مدينة أخرى.. أو تجمع آخر- لإشباع احتياجاته من خدمات، وتسهيلات ذات تدرج هرمي أعلى.. ويتم ذلك عن طريق تبادل الوظائف، والخدمات في إطار الإقليم ككل، بالتالي تكون التجمعات فيما بينها مجموعة متكاملة.. وخواص وتعداد السكان لهذا التجمع التابع مماثلة لتلك التي تميز المدينة المركزية عن الضواحي.

الضاحية.. بالرغم من أن الضواحي ظاهرة قديمة ومعروفة إلا أن وضعها وأهميتها قد زادت في ظل التطورات التي طرأت على المدن والعواصم الكبرى.. والضواحي لا يمكن لها أن تكون " **تجمع مستقل** " حيث أنها عبارة عن نويات حضرية بها وظائف وخدمات مناسبة لرتبتها في التدرج الهرمي للتجمعات الحضرية داخل الإقليم ككل، بالتالي فهي تعتمد على التجمعات " **الأعلى** " رتبة في الحصول على الخدمات ذات الرتبة الأعلى. وتتأثر الضواحي في نموها وتطورها بخصائص شبكة المواصلات - سكك حديدية وطرق - ومدى كفاءتها واستيعابها لمستهدفات التطور بتلك الضواحي.

الأهداب الحضرية.. وتتشكل الأهداب - عادة - بطول أو بالقرب من الطرق السريعة، وجداول المياه، ومسارات الأنهار، وتتخذ موقعا خلف نطاق الضواحي.. وغالباً ما تنمو تلك الأهداب في ظل تغذية دور الأجهزة الحكومية، الأمر الذي ينعكس على خصائص واستعمالات الأراضي، فتنبدو - دون سيطرة اتجاه محدد - مجموعات غير منتظمة، مختلفة متداخلة، وممزجة مع المناطق والمساحات الزراعية.



شكل رقم (٧)

وإضافة إلى التدرجات الحضرية السابق التعرض لها - **الأقل تحضر والثانوية** - التي يتضمنها المتصل الريفي الحضري يوجد تجمع آخر، له صفات حضرية أكبر من تلك التي تتضمنها المدينة المركزية في نفس إطار الإقليم، الذي تتبعه، وذلك نتيجة لما يتضمنه من تركيز للعوامل الاجتماعية، والاقتصادية، وتشييع، وتركز لعمليات التصنيع، وتسمى هذه التجمعات " **بالتجمعات فوق الحضرية** " .. وساعد على تكوين مثل هذه التجمعات توسع، وتعدد الهيئات، والمعاهد العلمية، والخدمية العامة، والتطور الصناعي السريع، والمتلاحق، إضافة إلى التركيز الاقتصادي المحتمل لتلك التجمعات.

٣-٥ الأهداب المرتبطة على التجمعات الحضرية للسكان:

أدت ظاهرة الهجرة الريفية الحضرية تجاه مراكز الاستقطاب المتاحة، وعكس مراكز وقوى الطرد المقابلة لها إلى أثرين هامين:

الاول: سبق تناوله.. ويتعلق بالثقل الكيفي لتلك الهجرات، وما يترتب عليها وعلى الجوانب الثقافية المرتبطة بها من تغيير في الخصائص الحضرية للمناطق الجديدة، لتبدو آنذاك أهمية التفرقة بين الريف والحضر، وصياغة ما يعرف " **بالمتمصل الريفي الحضري** ".

الثاني: ويتعلق بمجموعة التغيرات الناجمة عن الثقل التأثيري لمراكز الاستقطاب في مواجهتها للأقطاب الأقل تأثيراً، ويترتب على ذلك امرين:

- المتغيرات الايكولوجية لمردود ظاهرة التحضر على مختلف الارحاء الحضرية.
- التغيرات الحجمية لمختلف الارحاء الحضرية لقاء الحركة الترددية لموجات الهجرة.

١-٣-٥ العوامل الأيكولوجية المرتبطة بظاهرة التحضر:

لتيارات الهجرة الريفية الحضرية بأنواعها المتعددة، ومردودها، ودوافع تشكلها، وثقلها النسبي الواضح من الريف إلى الحضر - قياساً الى الاتجاه المعاكس - دورها في الدفع بالمجتمعات الحضرية تجاه نوع من التشكل الحيوي التدريجي، عبر عنه علماء الاجتماع بالعوامل " **الحيوية أو الأيكولوجية** " للمدينة.. وتجسدها الترددات الحركية لسكانها عبر مختلف أرجائها الحضرية من جانب، في تقائنها بمختلف أنماط الهجرة إليها ومنها من جانب آخر، إضافة إلى التغيرات الطبيعية التي تطرأ على ديموجرافيا السكان.. وفي سياق دراسة العمليات البيئية والأيكولوجية للمدينة - المرتبطة بتلك المتغيرات - كانت هناك

محاولات عدة لصياغة نظريات مفسرة لديناميات المدينة؛ تعلقت بالعوامل الأيكولوجية لظاهرتي الهجرة والتحضر، وأبرزها:

التركز والتشتت . المركزية واللامركزية . الغزو والتتابع.

التركز والتشتت:

عمليتان يمكن استبيانهما من خلال الكثافات السكانية والتغيرات التي تطرأ على توزيع السكان عبر المكان؛ كمردود للهجرات الريفية الحضرية من جانب والحركة الترددية للسكان من منطقة لأخرى من جانب آخر، أو نتيجة الاختلاف في معدلات الزيادة الطبيعية للسكان.

" **التركز** " Concentration .. وكما عبر دنكان Duncan ترتبط " بزيادة معدل الكثافة السكانية " ، وتناثر في ثقل تشكلها ومردودها الحضري بعيد من العوامل ، أبرزها .. توافر وسائل المواصلات المتاحة، وتباين القدرة الاقتصادية بين مختلف الأجزاء الحضرية، واختلاف وتنوع نوعية استخدام الأرض.

وطبعي وفي نطاق تلك العوامل أن... " **زيادة الكثافة السكانية** " ... يستتبعها " **زيادة أثمان الأرض** " ... وبالتالي " **ظهور مهن ومهاتمة اقتصادية تعتمد اعتماداً كبيراً على تلك الكثافة** " ... يليها " **ظهور وسائل نقلية تسمى في تخطيط عملية النمو** " ... تسهم بدورها في " **زيادة الكثافة السكانية** " ... وهكذا.

و" **التشتت** " Deconcentration .. يعنى انخفاض نسبة السكان الذين يعيشون في قلب المدينة، نتيجة الازدحام السكاني لبعض مناطقها الداخلية، الأمر الذي يعزز عوامل الطرد تجاه الضواحي والأطراف.. ويزداد معدل التشتت في المدن الكبرى عنه في المدن الصغرى؛ نتيجة التزاحم السكاني الضاغط .. والاتجاه نحو "التشتت" يتطلب شبكة متطورة من المواصلات، مع توافر لهياكل بنية أساسية، تكفل للضواحي التطور المستقل، وتدفع بنمو شرائح اجتماعية وسطى، تجد في الضواحي مزايا يصعب الحصول عليها داخل المدينة.

المركزية واللامركزية:

وتمثلا مدى تركيز Centralization ، أو عدم تركيز Decentralization المشروعات الصناعية والتجارية داخل المدينة، أو خارجها.. ومعروف أن الانتاج الكبير يتطلب زيادة حجم المشروعات الصناعية وضرورة التقارب المكاني بين المصانع والأسواق، بهدف خفض تكلفة المنتج، خاصة إذا ما ارتفعت أثمان الأرض المخصصة للصناعة، بالتالي فإن تحسن وسائل المواصلات وأساليب النقل، وتطور فنون نقل المعلومة من خلال الحاسبات الآلية؛ يعزز من اتجاه الدول الغربية لفكر اللامركزية، في حين ان عكس ذلك يحدث بالدول النامية.. حيث يتأكد الاتجاه إلى المركزية الشديدة؛ نتيجة قلة الموارد المالية؛ الأمر الذي يدفع بتركز المشروعات والصناعات الكبرى متاخمة للمدن الكبرى؛ بهدف الاستفادة من بنيتها الأساسية، ممثلة في الامداد بالكهرباء والمياه ووسائل المواصلات.

الغزو والتتابع :

الغزو.. Invasion يعنى نفاذ جماعة سكانية إلى منطقة ما؛ كانت تؤدي من قبل وظيفة مختلفة، أو أنها كانت تتضمن جماعات سكانية مغايرة.. بما قد يترتب على ذلك من تغير او خلاف في الخصائص الثقافية والاجتماعية، والمردود الفكري والسلوكي.

التتابع.. Succession. نتاج لعملية الغزو ، باعتبار الاخيرة تعد إحدى أو أولى مراحل التتابع ؛ بمعنى أن تتابع الهجرات إلى المكان المنوط بعملية الغزو يمثل نوعاً من التتابع.

وترتبط ظاهرتي الغزو والتتابع بعدد من العوامل:

- تحركات السكان من منطقة لأخرى، وما قد يستتبعها من تغير في الخصائص الاجتماعية، والبنى الثقافية.
- توسع أحد أجزاء منطقة عمرانية إلى جزء آخر يختلف في خصائص البناء الثقافي والاجتماعي لقاطنيه.
- التغيرات التي تطرأ على شبكات الطرق وخطوط المواصلات.
- الإحلال العمراني وما يرتبط به من تهدم لمساكن أو تعرضها للسقوط بسبب تدهور حالتها.
- إنشاء مبنى عام أو خاص " مستحدث " ذي خصائص جاذبة أو طاردة بالمنطقة نطاق الظاهرة.
- إدخال أنواع جديدة من الصناعات أو الحرف الى منطقة ما وما يترتب عليه من استحداث وظيفي.

- ظهور تغيرات اقتصادية من شأنها إعادة توزيع الدخل القومي بين مختلف الأجزاء الحضرية.

وبصفة عامة فإن عمليتا الغزو والتتابع تتعرض فترات زمنية وكان من قبل السكان المقيمين في بداياتها وتتخذ أمثلة رفض بيع الأرض للوافد ثم تجاهله إلى أن تسيطر موجات التتابع على المنطقة المنوطة بموجات الغزو الأولى وتظهر تلك الصورة في التحول التدريجي للأحياء الراقية تجاه استقطاب طبقات اجتماعية أقل .



شكل رقم (٨)

٥-٣-٢ التطور الحجمي للأجزاء الحضرية إزاء الحركة التوحديدية لهاطنها:

تأتى التغيرات الايكولوجية التي تتضمنها انسجة الأجزاء الحضرية كنتيجة للهجرات الريفية الحضرية من جانب، والتغيرات الدينامية التي تتخلل تلك الأطر - في ظل الهجرات الداخلية المتعلقة بالحراك الاجتماعى والتغيرات الاجتماعية والطبيعية للسكان من جانب آخر - لتدفع بتلك الأجزاء تجاه صيغ تشكيلية حضرية تحكمها - فى رؤى علماء الاجتماع - مجموعة من القوانين الحضرية.. أبرزها:

قانون المضامضاه - قانون وراثة الحجم - قانون الحجم والتباعد - قانون المدينة الأولى

قانون المضامضاه.. يعنى زيادة عدد الوظائف التي يؤديها الحيز الحضرى او " توديتها المدينة " إزاء زيادة حجمه واستقطابه لنوعيات مختلفة من الاستثمارات مما يضاعف نموه.

قانون وراثة الحجم.. يتمثل في تصارع المدن والأجزاء الحضرية فى الإقليم الواحد من أجل تضخم وزيادة الحجم، فزيادة الحجم؛ تعنى فرص أكبر لاستقطاب السكان، وقدرة أكبر على مواجهة أى زيادة طبيعية لهؤلاء السكان فى ظل توافر الوظائف؛ الأمر الذى يدفع بالحجم تجاه تضخم مضطرد، يصعب ازائه السيطرة عليه، ليصبح المبرر الوحيد للحجم اللاحق هو - مجرد - الحجم السابق.. ويفضل هذا النجاح الحجمى تخفى تلك الأجزاء عيوبها ونقاط ضعفها الاجتماعية.

قانون الحجم والتباعد.. يعنى التسليم بافتقار الفقير واثراء الكبير، بمعنى أن المدن والأجزاء الحضرية كبيرة الحجم لها أن تتضخم ويزداد حجمها، على حساب ما يحيط بها من أجزاء صغرى. وقد عبر " جيفرسون " عن تلك العلاقة العكسية بين الحجم والتباعد بقوله " أن المدن الكبيرة كالأشجار العملاقة فى الغابة؛ تحرم الأشجار الصغيرة من الوصول إلى الضوء، وتقضى عليها بالقزمية وضعف النمو " فالمدن الكبيرة تحول دون النمو الحجمى للمدن الصغرى التي تقع فى ظلها.

قانون المدينة الأولى.. قانون يرتبط بالقوانين السابقة؛ حيث أن الزيادة المضطردة لأكثر المدن على ما سواها؛ تجعل منها " المدينة الأولى " فتحقق سيطرة على بقية المدن ليبدو الفارق بينهما هائلا، وطبيعى انذاك أن تتضمن - تستقطب - المدينة الأولى أكبر عدد من الوظائف السياسية، والاقتصادية، والثقافية بل وتحصل على أكبر نصيب من الاستثمارات.. وفى دراسة لجيفرسون على ثمانى وعشرين دولة.. وجد أن " المدينة الأولى " يزداد تعداد سكانها على ضعفى المدينة التالية لها مباشرة، وعادة ما تكون " عاصمة للبلاد " وممثلة للكيان الوطنى، وأساس توحيد الأمة، غير أن تلك ليست بقاعدة.

٦- نتائج الورقة البحثية:

بعد تناول التحليلي لدور " الثقافة المتبادلة " بين المناطق الريفية وتلك الحضرية فى تقرير أوجه " التلاقى والتماثل " الحادث بين " عمران البيئتين " .. خلصت الورقة الى ان أوجه التماثل بين عمارة القرية وعمارة المدينة بالواقع المصرى المعاصر ترتبت على الهجرات الريفية الحضرية، وما استتبعها من حركة ترددية للأفراد والجماعات البشرية عبر مختلف الأجزاء الحضرية؛ ترتب عليها نوع من المزج الثقافى، وتغير مصاحب فى خصائص البنى الاجتماعية، وما تضمنته من قيم واعراف وعادات وتقاليد، وارتبط ذلك بعديد من الاستنتاجات:

٦-١ فيما يتعلق بالقرية:

- اختلاف الخصائص الوظيفية والتعبيرية المميزة لعمران القرية المصرية المعاصرة عن تلك التي طالما ميزتها خلال عقود مضت، وتاكّد ذلك في التغيّبة الواضحة لصورة المسكن المركب بالريف المصرى، مقابل ظهور واضح لأنماط الاسكان متعددة الطوابق " نموذج العمارة السكنية بالمدينة " .
- افتقار عمران القرية لطابعه المميز - والمائل في الازدهان - لبصمة الهوية التعبيرية، كإداة توثيق لمعالم المكان وثقافة ماضيه.
- صاحب التغير في خصائص البناء الفيزيقي للقرية تغير مماثل في البنى الفكرية والثقافية لقاطنيه، بعيدا عن تقرير لايهما كانت البداية.
- تآثر عديد من المناطق الريفية بالصيغ الوظيفية التي يتضمّنها مجتمع المدينة والمرتبطة بالانشطة التجارية والترفيهية.

٦-٢ وفيما يتعلق بالمدينة:

- ارتبطت الآثار الناجمة عن امتصاص عديد من الارحاء الحضرية بالمدن للثقافات الريفية بمجموعة مؤشرات.. منها ما يؤكد النسيج التشكيلي لعمران الارحاء الحضرية المتاخمة للمناطق الريفية، ومنها ما تعلق بمفردات التعبير المعماري وانماط الوظائف السائدة بتلك الارحاء وعلى نحو مايلي:
- فأوجه التماثل في خصائص النسيج العمراني بالمدينة - مع تلك المناظرة لها بالقرية - تتأكد في المناطق - ذات الاصول الزراعية - المتاخمة للمدن وعلى اطرافها تحديدا، وتأثيراتها بدت واضحة في جوانب الخلل التي تتضمّنها اسس الصياغة الفراغية بعديد من الارحاء الحضرية، وماترتب عليها من قصور في اوجه الملائمة التشكيلية والوظيفية للمقومات البيئية والمناخية وكذا تباين في خصائص النسيج البصري والتشكيلي للمجموعات المعمارية.
- واما مايتعلق باساليب وصور التعبير فتجسدها عديد من الصور التي يتضمّنها النسيج التشكيلي ومفرداته التعبيرية.. وتلك يمكن استقرارها في تماثل الخصائص التشكيلية وخيارات الالوان وكذا مفردات وصور التعبير عن القيم التراثية بعديد من المناطق الحضرية مع تلك المتاخمة لها ريفيا.
- وأما ما يتعلق بأوجه التماثل في خصائص وأشكال الوظائف السائدة - بكلتا البيئتين - فتؤكددها عديد من المؤشرات أبرزها:
- ظهور المسكن " العائلي " متعدد الطوابق بكلا البيئتين؛ فهو بديل للمسكن " المركب " بالريف، وصيغة مستحدثة بالمدينة نقلا عن ثقافة الريف.
- اختفاء الصيغ الفراغية الوظيفية المميزة للمسكن الريفى ازاء تمثله لصورة المبنى السكنى التقليدى بالمدينة.

٧- التوصيات:

- إزاء التناول التحليلي لما تضمنته الورقة البحثية من موضوعات ومآلت اليه من نتائج، انتهت الورقة إلى مجموعة التوصيات التالية:
- تكليف أجهزة التخطيط ومراكز التنمية بالريف والحضر بإعادة دراسة اللوائح المنظمة لخصائص العمران بمختلف الارحاء الحضرية وفقا لما تمليه خصائص الهوية البيئية والتراثية لنطاق تواجدتها؛ كمدخل لتحديد الاشتراطات المتعلقة بمايلي:
- الخصائص التشكيلية المستهدفة للنسيج العمراني لكل منطقة - ريفية او حضرية - بما يتفق والهوية البيئية المميزة لها.
- المعالجات التعبيرية الملائمة لواجهات عناصر العمران بمختلف الارحاء الريفية والحضرية وفقا لما تمليه ثوابت تلك الارحاء التراثية.
- العلاقات الفراغات لمختلف عناصر العناصر العمران بما تتضمنه من قيم تعبيرية وثوابت تشكيلية تتفق ومعطيات المكان وثقافة مستوطنه.
- الخامات والألوان الملائمة لمستهدفات التنمية الحضرية بتلك المناطق ازاء ماتتضمنه من خصائص بيئية وثقافية.
- تكليف مراكز البحوث الاجتماعية والسكانية بدراسة المردود التائثري - الثقافى والفكرى السلوكى - لحركة السكان الترددية عبر مختلف المناطق الريفية والحضرية.
- تكليف مراكز البحوث والأجهزة المعنية بوزارتي الثقافة والأعلام بالدراسة الدورية لاوجه التغير في خصائص البنى الثقافية والفكرية بمختلف المناطق الريفية والحضرية.. اسبابه ونتائجه وكذا ومردوده على عناصر البناء الحضري العمراني والتكميلي.

٨- المراجع العلمية:

١. احمد رأفت، سالم عبد العزيز محمود " دراسات في المجتمع الريفي " القاهرة، المكتبة الجامعية، ١٩٩٢م.
 ٢. السيد الحسيني " المدينة .. دراسة في علم الاجتماع الحضري " القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
 ٣. إيمان عبد الرحمن النشار " العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة، مدخل متعدد الأبعاد لدراسات وممارسات التصميم "، رسالة الفنون الجميلة في عالم بلا حدود، المحور الأول: العمارة والبيئة والتراث الحضاري، المؤتمر العلمي الثالث، كلية الفنون الجميلة، القاهرة، ١٧-١٩ أبريل ٢٠٠١م.
 ٤. جمال عطية الخولي، محمد إبراهيم جبر " التلوث البصري كانعكاس لمتغيرات اجتماعية واقتصادية .. رصد لخصائص النسيج البصري بعمران مدينة القاهرة " مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي السادس، القاهرة، ١-٤ سبتمبر ٢٠٠٠م.
 ٥. سامي خشبه " مصطلحات فكرية " المكتبة الأكاديمية، الطبعة العربية الأولى ١٩٩٤م.
 ٦. فاروق عباس حيدر: " تخطيط المدن والقرى " منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الاولى ١٩٩٤م.
 ٧. مجدى محمد رضوان ومحمد عبد السميع عبد " تأثير النمو الحضري على البيئة العمرانية للمدن بالدول النامية " - المؤتمر الأول للبحوث الهندسية ١٩٩١.
 ٨. مجمع اللغة العربية: " المعجم الوجيز " جمهورية مصر العربية، طبعة ١٩٩٧م.
 ٩. محمد إبراهيم جبر إبراهيم " التباين الثقافى أحد إشكاليات التنمية الحضرية بالمناطق التراثية " مؤتمر الفيوم الثاني، مصر الوسطى عبر العصور، "الفيوم - بنى سويف - المنيا.. الدور التاريخي والحضاري، ومستقبل التنمية الأثرية والسياحية " ٣٠ أبريل-٢ مايو ٢٠٠٢م.
 ١٠. محمد الجوهري، علياء شكري " علم الاجتماع الريفي والحضري " القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
 ١١. محمد زكى حواس " عمارة الانتماء في مواجهة معمار البيئة " مؤتمر العمارة والبيئة جامعة أسيوط - مايو ١٩٩٤.
 ١٢. نسמת عبد القادر، سيد التونى: " اشكالية النسيج والطابع " دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٩٧م.
13. Elster, J.(ed.), " Foundations Of Social Choice Theory " Cambridge University Press , Cambridge , 1986 .
14. Thompson Michael, Ellis Richard, Wildavsky Aaron, " Cultural Theory " Westview Press , San Francisco USA & Oxford UK , 1990 .